نمط الدراسات القرآنية
غير الأكاديمية في نيجيريا
التحديات وسبل النهوض

د. تيجاني زبير رابع

السيرة الذاتية

الاسم: الدكتور / تيجاني زبير رابع.
مكان الميلاد وتاريخه: عام ١٩٧١م ولاية كنو نيجيريا.
المؤهل العلمي: دكتوراه
مكان الحصول عليه وتاريخه: معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية جمهورية السودان. عام ٢٠١٢م.
الدرجة العلمية: دكتوراه.
التخصص العلمي العام: الدراسات الإسلامية.
التخصص العلمي الدقيق: القراءات/ علوم القرآن الكريم.
العمل الحالي: رئيس قسم علوم القرآن الكريم كلية الشريعة والقانون. محاضر بمركز البحوث والدراسات القرآنية جامعة بايرو كنو نيجيريا.

*** الإنتاج العلمي:**

*** الكتب:**

١ ـ تحقيق جامع المنافع على قراءة الإمام نافع.
٢ ـ زادك في علم الحاسوب.
٣ ـ مبادئ طريقة البحث العلمي.

*** البحوث:**

١ ـ دور حفاظ القرآن الكريم في مجتمعهم.
٢ ـ العلاقة بين المسلمين وغيرهم في رؤية إسلامية.
٣ ـ أهمية دراسة علوم القرآن الكريم.

*** المشاركة في المؤتمرات والندوات:**

١ ـ المؤتمر الدولي سيدي شيكر مراكش المملكة المغربية عام ٢٠٠٩م.
٢ ـ الملتقى القرآني الأول لدول غرب إفريقيا برعاية الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم عام ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ولاية كدونا نيجيريا.
٣ ـ المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (١٤) قرنًا على نزوله. عام ٢٠١١م الخرطوم جمهورية السودان.

*** العنوان:**
*** البريد:** P O Box 14265 Kano State Nigeria
*** الهاتف:** ٢٣٤٨٠٢٧٧٤٧٢٨٧ +
*** الإيميل:** farbsis@gmail.com

ملخص البحث

حاول الباحث من خلال هذا البحث أن يبرز نمط الدراسات القرآنية في دولة نيجيريا، وتاريخ القرآن الكريم في هذا البلد الذي يكتظ بجمع كبير من حفظة كتاب الله تعالى وقرائه، وتحدث عن أنواع مدارس القرآن الكريم وأثرها في حياة المسلمين وغيرهم، والمشاكل التي تعانيها المدارس القرآنية، وحاول الباحث أن يتوصل إلى طرق التجديد والنهوض بالمدارس القرآنية الدهليزية التقليدية وغيرها، التي ما زالت منتشرة بكثرة في هذه البلاد، وطرح الطرق لحل مسألة التسول التي ربطت بطلبة القرآن الكريم عمومًا في إفريقيا.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: الآية ٩). والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، القائل: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[(١)]، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ولهذا حرصت الأمة على دراسته وتدريسه، فوعته في صدورها، وسجلته في السطور، وتعلمته جيلًا إثر جيل.

وقال ﷺ: «أشرف أمتي حملة القرآن»[(٢)]، فإن الإنسان لا يشرف

---

(١) البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة بيروت سنة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ الطبعة الثالثة. المحقق د. مصطفى ديب البغا. ج٤/ ١٩١٩.

(٢) رواه الطبراني، وفيه سعد بن سعيد الجرجاني وهو ضعيف، الهيثمي علي بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٠٧هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي القاهرة وبيروت ١٤٠٧هـ. ج ٧ / ١٦١.

إلا بما يعرف، ولا يفضل إلا بما يعقل. وبشرف العلم أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السّلام على الملائكة وأمرهم بالسّجود له، ولأهميته نجد أنّ أوّل ما نزل في القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾... إلخ، (القلم: الآية ١ ـ ٥).

ولقد كان التّعليم ولا يزال مصدر عزّ الأمم والمجتمعات، وسرّ سعادتها وتحضُّرها وتقدّمها، فبقدر ما تتعلّم الأممُ وتهتمُّ بتعليم أجيالها الصّاعدة، بقدر ما تحافظ على هويّتها ووجودها وبقائها، وعلى العكس، فما أهملت أمَّة قط تعليم شبابها، وإعدادهم إعدادًا بنَّاءً أصيلًا، إلا أُصِيبَتْ في صميمها، وعاشت ذليلةً مهينةً في مؤخرة الأمم، وعلى هامش الحضارات.

ويُعتبر التعليم الإسلامي من أكثر معطيات الحضارة الإنسانية إيجابيًّا في حيز المنفعة لشعوب غرب إفريقيا، حيث يفتح لهم الطّريق لاستيعاب أساليب جديدة لحضارتهم التّقليدية، وبتعلم القرآن الكريم والكتابة العربية انتقل تاريخ نيجيريا من مرحلة الرِّواية الشّفهية إلى مرحلة التّدوين، كما وجدت اللّغات القومية إلى الحرف العربي الأبجدي الحفيظ على تلك اللغات، بل يفيد تاريخ هذه المنطقة أنّه لا يُعرف أيّ تعليم سابقًا سوى التّعليم القرآني العربي الإسلامي.

وثقافة غرب أفريقيا قبل الإسلام هي نظام ارستقراطي بحت، حيث يتوارث الحكّام مناصبهم كابرًا عن كابر، وزمام الأمر بيد الملوك، ويعاونهم أمناؤهم من كبار مواليهم المخلصين لهم، ومن رؤساء جنودهم الحارسين لمملكتهم ومن كهنتهم المشيرين لحركاتهم. أمّا

القضاة فكبير كلّ عائلة قاضيها، ورئيس كل قبيلة حاكمها، وقاضي القضاة هو الملك الّذي يَعْتبر نفسَه نائبًا عن الله في أرضه. ولكلّ كبيرٍ ورئيسٍ حقُّ سماعِ القضايا الصّغرى في ناحيته وولايته الخاصّة، أمّا القضايا الكبرى فإنّها تُرْفَعُ إلى مجلس الملك فيجتمع الأعيان لسماعها، والنّظر فيها، وليس لهم قانون مدوّن في كتابٍ، إنّما يحفظون في صدروهم ما يتوارثونه عن أسلافهم من تقاليد وعاداتٍ.

وقد ظلّ تعليم القرآن والعلوم الإسلامية ينمو ويتطوّر في دهاليز العلماء والكتاتيب والزوايا والمساجد والجوامع حتى جاء المستعمر الّذي حارب الفكر الإسلامي، وكل نشاط علمي يتعلق به، وعمل على نشر الثقافة الأوروبية واللّغة الإنجليزية، فأخذت اللّغة الإنجليزية تحلّ محلّ اللّغة العربية بعد أن مهّد الإنجليز لتعلّمها السّبل والأساليب ورفعوا شأن من عرفها وجعلوها لغة رسمية للبلاد، كالحالة نفسها في الدّول الّتي استعمرتها فرنسا. ويتكون هذا البحث «**نمط الدراسات القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا**» إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة كالتالي:

التمهيد: تحدث الباحث فيه عن الخلفية التاريخية للقطر النيجيري وتاريخ دخول الإسلام فيه.

المبحث الأول: ذكر الباحث فيه تاريخ القرآن الكريم في نيجيريا.

المبحث الثاني: أنواع المدارس القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا.

المبحث الثالث: التحديات التي تواجه المدارس القرآنية وسبل النهوض بها.

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات. ثم قائمة المصادر والمراجع. وأسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التمهيد

خلفية تاريخية عن القطر النيجيري ودخول الإسلام فيه

* **نيجيريا:** منذ آلاف السنين استوطن الإنسان المنطقة التي تعرف بنيجيريا الآن، وقد اكتشف علماء الآثار أدوات حجرية يربو عمرها على (٤٠,٠٠٠) سنة[(١)]. ووُجدت أيضًا هياكل بشرية وبعض مخلفات المستوطنات البشرية التي تنتمي إلى عصور ما قبل التاريخ.

وهذه المنطقة تعرف عند العرب قديمًا باسم بلاد السودان أو بلاد التكرور، وإن كان هذا الاسم، أي: التكرور غير متداول ولا معروف عند أهله. وإنما يسمعه الحجيج من بلاد الحرمين ومصر[(٢)].

وتقع جمهورية نيجيريا في الساحل الغربي لإفريقيا، على طول

---

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية: عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International. شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية. (نيجيريا).

(٢) انظر: محمد بللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور طبع عام ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٤م، ص٢٨.

المحيط الأطلسي في خليجِ غينيا. ما بين (٤ و٤١) شمالًا من درجة (٣٠) من خطوط العرض أسفل خط الاستواء، تحدها شمالًا جمهورية (نيجر) وشرقًا دولة تشاد والكاميرون، وغربًا بلاد (الداهومي) أي: جمهورية بنين، وجنوبًا المحيط الأطلسي[(١)].

وتسع نيجيريا (٩٢٣,٧٦٨) كيلومتر، يقاسُ عرضها بحوالي ألف ومائتين (١٢٠٠) كيلومترَ مِنْ الشرقِ إلى الغربِ، وحوالي ألف وخمسين (١٠٥٠) كيلومترَ من الشمال إلى الجنوب. وبلغ عدد السكان مائة وستين مليون (١٦٠) نسمة. خمس وستون بالمائة (٦٥٪) منهم مسلمون[(٢)]. لذلك تعد نيجيريا أكبر بلد إسلامي من الناحية العددية في إفريقيا[(٣)].

دخل الإسلام في إفريقيا منذ القرن الأول الهجري لما وطئت أقدام مهاجري الحبشة رضي الله عنهم[(٤)] وتم فتح شمالها على يد عقبة بن نافع الفهري سنة ست وأربعين للهجرة، وذلك لما فتحت مصر أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عمرو بن العاص واستقر فيها، ولّى على إفريقيا عقبة بن نافع، وتوسع عقبة نحو المغرب وبنى القيروان لتكون قاعدة للجند، وواصل فتوحاته إلى فزان وغدامس وكوار والأخيرة مدينة

(١) انظر: توفيق أبوبكر حسين: جمهورية النيجيرية، بحث غير منشور. ص١.
(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ج١٥/ ١٦٣.
(٣) انظر: توفيق حسين: جمهورية نيجيريا، ص٤٤.
(٤) انظر: المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. جمهورية مصر العربية الطبعة العشرون ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، ص٧٤.

معروفة ببلاد غوبر من أقاليم النيجر، ولا تبعد كثيرًا عن حدود نيجيريا الحالية[١].

استمرت الفتوحات بعد هذا والحركات الإسلامية، حتى انتشر الإسلام، ليس في إقليم هوسا فحسب، بل في كافة ربوع إفريقيا، وذلك بالجهود التي بذلتها الدول الإسلامية التي قامت في المنطقة مثل مملكة غانة ومملكة مالي ومملكة كانم برنو، ومملكة سنغاي، ومملكة سكوتو وبجهود التجار المتجولون عبر طرق القوافل التي تخترق الصحراء الكبرى جنوبًا حيث ينتهي الطريق إلى برنو، وآخر ينتهي في كنو[٢].

وتعد إفريقيا القارة المسلمة الأولى إذ بلغ عدد المسلمين فيها حوالي (٥٢٪) من جملة السكان.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام في إفريقيا ما يأتي:

١ ـ عدالة الإسلام ومساواته بين الناس، وبغضه للتفرقة العنصرية.

٢ ـ بساطة تعاليم الإسلام، وسهولة فهمه ويسر الدعوة إليه.

٣ ـ نشر الدعوة الإسلامية لا يسخر لمصالح فئة معينة، أو يحقق

---

(١) انظر: شيخ عثمان كبر، الدكتور: الشعر الصوفي في نيجيريا، دراسة موضوعية تحليلية لنماذج مختارة من إنتاج العلماء القادريين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. النهار للطبع والنشر والتوزيع، ص٢٠، وإن فزان وغدامس تقعان الآن في ليبيا.

(٢) انظر: علي أبوبكر، الدكتور: الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى ١٩٧٢م، ص١٥.

مكاسب لكتل سياسية متصارعة، وليست للدعوة الإسلامية أهداف غير انتشار الإسلام وهذا يخالف تمامًا ما تقوم به بعثات التنصير من حماية للمصالح الاستعمارية وخدمة للمستثمرين، وتجارة الرقيق مع ممارسة جميع أنواع القسوة في نقل الملايين من الإفريقيين إلى العالم الجديد طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر.

٤ ـ يقدم الإسلام للمسلمين قوة الشعور بالوحدة، ويؤلف بين قلوب أبنائه[(١)].

تعمق الإسلام في شمال نيجيريا بصفة كبيرة حتى يصعب التمييز بين الرجل الشمالي (هوسا/فلاني) والإسلام، لأنه يعتبر أن كل شمالي هوساوي مسلم، وبمعنى أن قبائل الشمال كلها مسلمة سوى نزر يسير تأثر بالإرساليات التنصيرية وما تقدمه، وبالاستعمار الصليبي ومغرياته. وأكثر من نصف اليوروباويين في الجنوب الغربي مسلمون، وأما قبيلة الإيبو التي تقطن الجنوب الشرقي، ففي أواخر القرن التاسع الهجري أصبحت المسيحية قوية فيها، وطغت على كل الديانات الإفريقية الوثنية الموروثة.

(١) انظر: محمد موسى البر / جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الإسلام والمسلمون في إفريقيا. بحث غير مطبوع، ص٢.

المبحث الأول

تاريخ القرآن الكريم في نيجيريا

اشتهرت هذه البلاد بالكتاتيب القرآنية والدعوة إلى دين الله منذ دخول الإسلام في وهلة الأولى، فلذا كان انتشار الإسلام مع انتشار دراسات القرآن الكريم؛ لأن تعليم القرآن هو المدخل الأول إلى الإسلام.

وكان جمع من التابعين أتوا إلى إفريقيا منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري للقيام بالمهمة التعليمية، منهم أبو عبد الرحمن موسى ابن علي ـ بالتصغير ـ ابن رباح اللخمي ت ٦٤هـ[١]، سكن القيروان وبنى بها دارًا ومسجدًا وانتفع به أهلها. وأبو رشيد حنش بن عبدالله الصنعاني وهو الذي أسس جامع سرقسطة وكان مع علي ﷺ بالكوفة قبل ذلك، سكن القيروان ومات بها[٢]، كما سكن القيروان أيضًا أبو

---

(١) ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب: طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. رقم ٦٩٩٤ ٢/ ٥٥٣.

(٢) انظر: الأزدي: الحافظ أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يونس: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني الناشر مطبعة المدني سنة النشر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ١/ ١٥١.

سعيد كيسان المقبري مات في حدود العشرين بعد المائة[١]، وعكرمة مولى ابن عباس الذي أسس مدرسة للتفسير بجامع قيروان في نهاية القرن الأول وفجر القرن الثاني، وقد دخل عكرمة القيروان لا للغزو وإنما لنشر العلم بها، ـ وهو من أبرز تلاميذ ابن عباس في التفسير وأعلمهم به، ونقل أن ابن عباس كان يضع في رجل عكرمة قيدًا ولا يفكه منه حتى يتم أخذ التفسير. وقد كان الطلبة من كل فج يتلقون عن هؤلاء التابعين: القرآن الكريم والتفسير، وكل ما يتعلق بآيات الأحكام[٢].

يقول الأستاذ محمد العروسي المطوي: «إن العرب لما فتحوا إفريقيا أواسط القرن الأول للهجرة كان الكثير منهم في عيالهم وذراريهم، فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا قيروانهم أول ما أنشأوا الدور والمساجد، ثم التفتوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلًّا وكتابًا يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز، لما كان لأولئك الأفاضل من العناية الكبرى بأمر دينهم القوي، وهم القائمون بنشر دعوته المكلفون بركز دعائمه سواء بين الأقارب أو الأباعد من أبناء الشعوب المغلوبة على أمرها، أو المؤلفة قلوبهم، واستشهد بقول غياث بن أبي شبيب، قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمر علينا

---

(١) انظر: المزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي: تهذيب الكمال، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠، تحقيق: د. بشار عواد معروف رقم ٢٢٨٤، ١٠/ ٤٦٦.

(٢) انظر: طرهوني: محمد رزق عبد الناصر: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، بحث مقدم لنيل شهادة العالمية (الدكتوراه) جامعة الأزهر كلية أصول الدين ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ص٥٧٠.

ونحن غلمة بالقيروانة فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه[١].

وأما في نيجيريا فولاية برنو فيما عثر أنها من أوائل البلدة التي دخلها الإسلام، فلذا كان القرآن منتشرًا فيها قبل غيرها، وما زال الأمر إلى وقتنا الراهن أنها قبلة دراسة القرآن الكريم وحفظه لأهل شمال نيجيريا، ومما يتناقله الناس بالرواية الشفهية أن نسخة المصحف بقيت في برنو لمائة عام قبل أن تنسخ إلى بلد آخر في نيجيريا، فكان الناس يحجون إلى برنو لرؤية المصحف ويتبركون به.

ونقل أن الداعية أو المعلم «محمد بن ماني» أول من أدخل الإسلام في برنو، وقد عاش مائة وعشرين ١٢٠ سنة، وعاصر خمسة من «مايات» أي: الملوك في برنو، أولهم «الماي برنو» الذي حكم حوالي ١٠٢٠م، وآخرهم الملك «أوم» بن عبد الجليل الذي حكم ١٠٨٦ ـ ١٠٩٧ م، وكتب رسالة لأبنائه من بعده بين فيها تاريخ دخول الإسلام إلى برنو، وأن المعلم الفقيه محمد بن ماني قرأ مع الماي برنو الجزأين الآخرين من القرآن الكريم[٢]، من أول سورة الملك إلى من الجنة والناس، وأن الملك «الماي برنو» قدم له مكافأة على ذلك. وكان

---

(١) انظر: سكيرج سليمان أرزي كنو: الكتاتيب في كنو بين الماضي والحاضر، بحث لنيل الشهادة الجامعية العالية «الليسانس» قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالنيجر، ١٩٩٦م. قسم المخطوطات بمكتبة كلية أمين كنو للشريعة والقانون كنو نيجيريا. ص ١٢ عن محمد العروسي المطوي، تحقيق آداب المعلمين، ص٣٣.

(٢) والملاحظ في كل مكان أن أي دين جديد لا بد أن يكون مع الشعب قبل أن يصل إلى الطبقة الحاكمة.

اهتمام البرناويين بالقرآن ودراسته من الطبقة الحاكمة إلى الطبقة الشعب كبيرة، وحتى الشوارع والطرقات كانت تسمى بأسماء المهرة بالقرآن، مثل كلمة «غوني» فلان. وأمراء برنو إلى يومنا هذا كانوا من حفظة القرآن الكريم. وقد زرنا (شيخ برنو) اي الأمير عام ٢٠٠٠م تقريبًا في قصره بعد المغرب، فوجدناه يستمع لتلاوة القرآن الكريم من ماهرين للقرآن الكريم، فقيل لنا: إن هذا دأبه يجلس كل يوم بعد المغرب لاستماع سبع من القرآن الكريم.

أما بلاد الهوسا فإن مدينة (كاشنة) أسبق إلى ميدان الحضارة والعمران وهي التي تقع على طريق القوافل المارة من (تمبكتو) إلى (برنو) ومصر، وقد قام بهذه المدينة سوق عظيم يحضره البرابرة والعرب والوناغرة في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي[(١)].

وأما مدينة (كنو) حاليًّا فهي قلب الثقافة الإسلامية بشمال نيجيريا، بل وغرب إفريقيا عمومًا والمركز الاقتصادي لنيجيريا[(٢)].

وقال أمير المؤمنين محمد بللو رحمه الله عن ولايات هوسا: «وأوسطها كَشِنَةْ، وأوسعها زَكْزَكِ، وأجذبها غُوبِرْ، وأبركها كَنُو...»[(٣)]، ولها من السكان ما يزيد على ثلاثة عشرة مليون ١٣ نسمة، وتسع وتسعون بالمائة (٩٩٪) منهم مسلمون، وكانت سوقها (كاسور كرمي) Kasuwar kurmi من أكبر الأسواق في غرب إفريقيا قديمًا، ويغشاه

---

(١) الإلوري: الإسلام في نيجيريا، ص٣١.

(٢) عمر حمزة إبراهيم / نيجيريا / ولاية كنو الإسلامية: جامعة أمدرمان الإسلامية، بحث غير مطبوع، ص١.

(٣) محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص٤١.

التجار من شتى النواحي. ويطلق على ولاية كنو حديثًا عاصمة شمال نيجيريا، رغم أن العاصمة في أثناء الحكم الذاتي للأقاليم هي كدونا، إلا أنها تطلق عليها لما تتمتع به من تمثيل المسلمين في جميع أنحاء نيجيريا، لا يذكر الإسلام والمسلمين في نيجيريا إلا وذكر كنو.

وأما بلاد يوروبا التي تقع جنوب نهر النيجر فتاريخ الإسلام والقرآن فيها شحي، وقد ألف الشيخ محمد بن مسنى الكشناوي (ت ١٠٧٨هـ) كتابًا سماه «أزهار الربا في أخبار بلاد يوروبا» ولكنه مفقود[(١)]. وقد ذكر البكري وجود الحي الإسلامي والحي الوثني جنبًا إلى جنب تحت رعاية سلطان غانا الكافر، ووجود المساجد في الحي الوثني حتى في القصر الملكي بالذات[(٢)].

وانتشر مع الإسلام الدراسات القرآنية والثقافة الإسلامية والعربية في جميع ربوع منطقة نيجيريا، ووجد الكثير من العلماء فيها، سواء تخصصوا في مواد مختلفة كالتفسير والحديث والفقه واللغة، أو تخصص في مادة واحدة أو كتاب واحد، حتى غدا التعاليم القرآني أكثر انتشارًا في جميع أرجاء الممالك الإسلامية، وصارت العربية اللغة الرسمية لهم، يصدرون بها مؤلفاتهم ورسائلهم.

وممن دخلوا شمال نيجيريا من العلماء حاملين معهم الثقافات الإسلامية واللغة العربية الأمر الذي أحيى جو التعليم بدءًا بالقرآن

---

(١) انظر: الالوري: آدم عبدالله: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاتي: الطبعة الثالثة ١٩٧٨م، ص٣٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٤.

الكريم والعلوم الأخرى، منهم على سبيل المثال لا الحصر: ـ الإمام الفقيه المفسر المقرئ محيي الدين محمد بن عبد الكريم المغيلي، ت (٩٠٩هـ) حضر إلى مدينة كنو ومكث فيها برهة من الزمن وتولى القضاء والإفتاء وأخذ عنه علماؤها، وكتب لسلطان كنو محمد (رمفا) كيفية ترتيب رجال الأمير في مجلسه، من هيئة شورية على شكل لجنة الفتوى من كبار العلماء والفقهاء على ما سن الخليفتان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، كما رتب له وزير الدولة وقائد الجنود والإمام الأكبر للصلاة وقاضي القضاة وكبار العلماء وكبار الجنود وعمال الولايات، ووضع له وصية فيما يجب على الحكام في ردع الناس عن الحرام. وساعد الشيخ الملك في تأسيس دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة، وكان الشيخ ذاته يجلس ويشترك في تنفيذ أمور الدولة، وقد شبه الكثير من المؤرخين الإمام المغيلي بشيخ الإسلام ابن تيمية في نشر الإسلام والدفاع عنه ومحاربة البدع والمنكرات[(١)]، وخلفه ابنه بعد مغادرته، ولا يزال أفراد ذريته يجلسون في مجلس أمير كنو إلى يومنا هذا[(٢)]. والشيخ عبد الرحمن الزيتي الونكري، تزعّم وفد من العلماء قادمًا من أراضي مالي ومكث في كنو، ويعتبر من الأوائل الذين نشروا العلم في كنو واللبنة الأولى لتأسيس مركز علمي في هذه المدينة[(٣)]. والعالم

(١) انظر: تيجاني زبير رابع: الدكتور: مساهمة علماء نيجيريا في التفسير. بحث مقدم لنيل شهادة العلمية (الدكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان عام ٢٠١٢م.

(٢) انظر: غلادنثي: شيخ أحمد سعيد البروفيسور: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦م، المكتبة الأفريقية الطبعة الثانية ١٩٩٣م، ص٤٢.

(٣) انظر: الالوري: الإسلام في نيجيريا، ص٥٧.

الكبير أحمد بن محمد التمبكتي الصنهاجي ت ١٠٣٨هـ[١] وغيرهم من العلماء الثقات الذين زاروا مدينة كنو وغيرها من مدن شمال نيجيريا. كما كاتب الإمام المفسر جلال الدين السيوطي برسالة إلى ملوك التكرور ينصحهم فيها في أمور السلطنة وأحكامها الشرعية. فمنذ ذلك العهد أصبح الإسلام هو دين الدولة الرسمي.

ومن العلماء الذين تخصصوا في الدراسات القرآنية في هذه البلاد: غوني محمد مصطفى دبثيا ت ١٢٩٧هـ. فريد وقته في علوم القرآن، وكان من بيت كبير فأصابهم الطاعون وتوفي جميع أهل البيت وبقي منفردًا، وكان أول طلبه للعلم أنه لقي عالم عربي يتنقل من بلدة إلى أخرى، فمر ببلدة مصطفى دبثي فرآى حسن أدبه فأخذه للخدمة، فتعلم من هذا العالم العلوم الكثيرة، وبعده ذهب إلى معلم مفلح بن موسى وواصل علمه هناك[٢] ومن قصائده:

ومن جاء بعلم إلى ربه غدا ... فيسأله رب عن اسناده تلا
ومن قرأ القرآن من غير مسند ... قراءته كالبيت لا سقف من علا
إذا كنت سائلًا لنا سندًا فقل ... أخذت عن مفلح وعن موسى شاملا
وغروي وعن دجوي وحسن فسله نل ... وحمدون عن يحيى ودان مرتلا
ويعقوب عن ورش وعن نافع بدت ... وعن ابن قعقاع جلا أخذه حلا

---

(١) المرجع السابق، ص٥٨.

(٢) انظر: غوني الأمين بن غوني ممدوا إنشاروا نيجر: الفية الدبثوية المصطفوية المسماة: القرى لأهل البادية والقرى بتاريخ الحبر البحر المتبحر الشيخ العلامة الماهر غوني دبثيا، نظم في ألف بيت مخطوط أهداني إياه الناظم في سفري معه إلى الحج عام ٢٠٠٧م، ص٧).

وعن ابن عباس وعن ابن كعب قل كذا عن رسول الله جبريل أنزلا
كرام برره قل لدى المقربين قل وعن رفرف عن لوح عن قلم جلا
وعن خالق كل تبارك ذو العلى سألت لديك جنة الخلد مدخلا[١]

وقد شهد القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي حركة إصلاحية دينية وثقافية واجتماعية وسياسية كبرى، شملت منطقة واسعة من غرب إفريقيا جنوب الصحراء، وتُوّجت في النهاية بإقامة دولة إسلامية على يد مؤسسها وزعيمها الروحي الشيخ الداعية المجدد عثمان بن محمد فودي الفلاتي (ت١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م) ـ رحمه الله. ولم يمضوا علماء هذه الدولة حتى دوّنوا أكثر ما لديهم من علم، وما وصل إلينا من تأليف للشيخ عثمان بن فودي، وأخيه الشيخ عبدالله، وابنه محمد بللو، وابنته الشاعرة أسماء أكثر من أربعمائة مؤلف، في أكثر فنون علوم الإسلام، من القراءات وعلوم القرآن والتفسير وغيرها، وأغلبها باللغة العربية، وبعضها بلغة الفلاتي، وبعضها بلغة الهوسا، ولقد قام الفوديون بتأسيس عدة مراكز علمية زيادة على التي كانت موجودة من قبل، واستمر الحال على هذا المنوال حتى انتشر العلم بين العوام، بعد أن كان محصورًا في بعض البيوت بين الشيوخ وأتباعهم[٢]. ولقد بلغ عدد المدارس الإسلامية وكتاتيب تحفيظ القرآن آنذاك أكثر من (٢٥,٠٠٠) في شمال نيجيريا فقط، وأن عدد الطلاب الذين يدرسون

(١) عثرت على هذا النظم في مكتبة والدي غوني زبير رابع رحمه الله بخط تلميذه الشيخ إبراهيم أبوبكر رمضان رحمه الله.

(٢) انظر: محمد أمين: تاريخ وخصوصيات نيجيريا بحث غير منشور، ص٢.

فيها يبلغ حوالي (٢٥٠,٠٠٠) ولا فرق بين البنين والبنات في التعليم عندهم، وسقطت الدولة الإسلامية علي أيدي البريطانيين بعد أن استشهد الخليفة السلطان الطاهر مع ست مائة شخص من رفقائه في معركة (بورمي) الثانية يوم ٢٨/ ٧/ ١٩٠٣م في طريقه إلى السودان[١]. ويقول الوزير غطاط بن ليما في كتابه «بسط الفوائد» أن من طبقة العلماء من طبقة الشيخ أي المجدد عثمان ابن فودي آنذاك كان حوالي ١٠٥ عالم وأن من الطبقة التي تليهم كان هناك (١٧٥) عالمًا ومن طبقته هو أي الوزير (١٤٥) عالمًا، هذا خلاف ما لم يذكره من الشيوخ والطلبة والصلحاء[٢]، وغير هؤلاء، ويضيق المكان لسرد القوم ومناقبهم ومدارسهم وأعمالهم.

وفي هذا العصر أذكر على سبيل المثال: الشيخ محمد الرابع بن يونس السایاوي الكنوي ت١٣٧٧هـ ١٩٥٩م، وقد ألف الشيخ ما يقرب من ثلاثين كتابًا في علوم القرآن والقراءات والتجويد، ومن أهمها: كتاب جامع المنافع على قراءة الإمام نافع، منظومة في ألف وستمائة وخمس وخمسين (١٦٥٥) بيتًا، وتراثه في علم القراءات من أعظم ما وجد في هذه البلاد أي بلاد هوسا، في العصر الحديث، وحسب الواقع في تاريخ المقرئين في جمهورية نيجيريا في عصر الحديث أنه لم

---

(١) الفلاتي: الأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد، الفلاته في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتب الحديث الكويت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، ص٥٠.

(٢) انظر: الودغيري: عبد العلي: الدكتور: ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي، بحث غير مطبوع، ص٤.

يوجد من خدم القرآن مثله دراسة وتدريسًا[١]، ومن أبرز أبنائه الشيخ الماهر غنغرن الخليفة إسحاق محمد الرابع خادم القرآن عضو رابطة العالم الإسلامي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد ومن أعمال الشيخ إسحاق رابع أنه بنى ستين بيتًا وقفًا بعدد أحزاب القرآن وقصد أن يسمي كل بيت باسم حزب من أحزاب القرآن، وتسكن كل بيت عائلة قرآنية بمدينة كنو بحارة غورن دوظي، وقد بنى أيضًا أول جامعة للقرآن الكريم في نيجيريا بنفقته الخاصة، وهي على وشك الافتتاح، وهو من كبار رجال الأعمال في نيجيريا. ومن بين أبناء الشيخ إسحاق رابع من تبرأ ببناء أول مركز للبحوث والدراسات القرآنية بجامعة بايرو، الذي بلغت كلفته مائتي مليون نيرا، أي قرابة خمسة ملايين ريال سعودي. والشيخ: غوني آدم طن كللوري بولاية برنو والشيخ: طاهر عثمان بوثي بولاية بوثي و(بوزن قومي فتسكم) بولا ية يوبي والمرحوم الشيخ: إبراهيم أبوبكر رمضان وغوني طن زرغا والشيخ: الماهر طن ألماجريى و الماهر عبد الرشيد فغي والشبخ آدم عبدالله الورن، والشيخ شريف إبراهيم صالح بولاية برنو والشيخ بلاربي غسزا بولاية زمفرا، وكل هؤلاء وأمثالهم كثيرون يضيق المكان لسردهم وذكر أنشطتهم القرآنية ومناهجهم التدريسية في غرب إفريقيا وفي نيجيريا على وجه الخصوص.

(١) محمد ناصر آدم: الأهداف الأساسية لمؤسسة المرحوم الشيخ محمد الرابع للتعاون الإسلامي العالمي، ص٢٥.

المبحث الثاني

أنواع المدارس القرآنية غير الأكاديمية

أولًا: الكتاتيب (مدرسة اللوح ـ مكرنتر أللو أو مكرنتر محمدية):

الكتاتيب (كتب) الكِتابُ معروف، والمَكْتَبُ والكُتَّابُ موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ والجمع الكَتَاتِيبُ[1].

والكُتَّاب: عبارة عن مكتب تعليمي، وفيها يتعلم أطفال المسلمين القراءة والكتابة وأحكام تلاوة القرآن الكريم. ويعد الكُتَّاب خطوة نحو تطوير المنشآت التعليمية بعد أن ضاقت المساجد عن استيعاب أعداد المتعلمين صغارًا وكبارًا، الفقراء والمساكين، في المدن والقرى على حد سواء، فانتشرت في كل بلاد المسلمين.

فهي أول ما يستقبل الصبي المسلم، وهي أول ما تنقش على صفحات صدره البيضاء النقية آيات الذكر الحكيم التي تظل راسخة في ذاكرته مدى الحياة.

---

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب: دار صادر ـ بيروت الطبعة الأولى، (كتب).

وكان بناؤها يعد عملًا يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، وهي مدرسة القرآن ومعلمة الأجيال، كانت ولا تزال من أخطر وأهم المؤسسات التعليمية التي عنيت بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم عبر أجيال متوالية، حافظت على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي، وكانت بمثابة الدروع التي حافظت على تراث الأمة الإسلامية في مواجهة مدارس الإرساليات التبشيرية التي تغزو العالم الإسلامي.

والمشهور أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من جمع الأولاد في المكتب، وأمر عامر بن عبدالله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل رزقه في بيت المال(١).

وقال الشيخ آدم عبدالله الإلوري: إن اسم المكتب كان معروفًا للعرب قبل الإسلام، وكان يطلق على المكان الذي يتعلم فيه التلميذ الكتابة والقراءة، ثم تطورت إلى استعمال اسم الكتاب بصيغة الجمع نظرًا لكثرة من يكتب هناك من المعلمين والمتعلمين، وكان في الأول يطلق عليه «مجلس الكتاب» ثم حذف المضاف وبقي المضاف إليه، «الكتاب»، وكان ظهوره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢).

ويرى آخرون أن ظهورها كان في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، وأنه كان في أول الأمر يعلم أولاد الملوك والأمراء وهو معلم الصبيان، ومن خلال ما سردته لك أيها القارئ الكريم يتبين أنها ظهرت

(١) انظر سكيرج: الكتاتيب في كانو، ص٧.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٤.

في عهد مبكر واستمرت تتنوع حسب المكان المقامة فيها بين الحواضر والريف والبوادي، وقد تكون خيامًا متنقلة من مناطق الرعاة والبدو الرحل كما قال شاعر مريتاني:

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا العصر قدرًا دون أندادا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا[1]

ومن أبرز من لمعت أسماؤهم في هذه الكتاتيب من المعلمين: الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ، ٧٢٣م)، والكميت بن زيد (ت١٢٦هـ، ٧٤٣م)، وعبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ، ٧٤٩م).

ومن أشهر الكتاتيب في الماضي: الكتاب الذي أسسه أبو القاسم البلخي (القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي)، وقد بلغ عدد تلاميذه في وقت من الأوقات ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ تلميذ[2]. وتدل الروايات على أن هذا الكتاب بجانب استقلاله عن المسجد كان فسيحًا جدًّا؛ ليسع لهذا العدد الكبير، ولهذا كان يحتاج البلخي أن يركب حمارًا ليتردد بين هؤلاء الطلبة وليشرف على جميع تلاميذه.

أدت الكتاتيب دورًا فاعلًا في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والمواد الشرعية والدينية، كما أسهمت في نشر العلم وتعليم القراءة والكتابة، خاصة بعد اختلاط العرب بغيرهم.

والغالب عندنا أن تكون الكتاتيب في دهليز المعلم أو في المسجد،

---

(١) انظر: محمد بن سيدي محمد مولاي الدكتور: التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط، دار يوسف بن تاشفين مكتبة إمام مالك، الطبعة الأولى ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨م ١/ ٢٣.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية (الكتاب).

أو دهاليز الجوار وقد تكون تحت أحد الأشجار، ويتمّ التّعليم فيها بصورة تقليدية، والمعلّم هو كلّ شيء في هذه الكتاتيب، ولا يفتقر إلى إعداد وتأهيل فيكفي حفظه للقرآن الكريم وإتقانه أو حفظ أجزاء منه والقدرة على القراءة والكتابة. ويلتحق بها المتعلّمون في سنٍّ مبكّرٍ جدًّا، ومنهم من يواصل التّعليم فيها حتّى يُتمّ حفظ القرآن، ومنهم من يتوقّف ويكمل تعليمه في المدارس النّظامية.

ثانيًا: المحضرة:

(ظنغيا) Tsangaya مرحلة متقدمة عن الكتاتيب ومتداخلة معها من حيث التلمذة والمنهج وغالبًا ما تكون خارج المدن لينتقل إليها الطلبة المتخصصون في حفظ القرآن الكريم، وقد يذهب إليها الصغير قبل مرحلة الحفظ، وهي مؤسسة من مؤسسات التربية الإسلامية الأصيلة، تحمل بعض خصائص النظام التربوي الإسلامي. فهي جامعة شعبية بدوية منتقلة تلقينية فردية طوعية الممارسة[(١)].

نشأتها: وأصلها كان من قصور الرباط: وهي الحصون التي تنشأ قريبًا من السواحل غالبًا، وتتخذ لمراقبة العدو القادم من البحر، وقد بدأ إنشاؤها من منتصف القرن الثاني للهجرة على يد بعض ولاة الدولة العباسية بإفريقيا، منهم هرثمة بن أعين الذي بنى قصر رباط المنستير سنة ١٨٠هـ، ثم تكاثرت وشاعت على يد أمراء الدولة الأغلبية، بحيث

(١) انظر: النحوي: الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس ١٩٨٧م، ص٥٣.

إن الإشارات الضوئية التي كانت تستعمل للإنذار بالخطر بين هذه المراكز، كانت تصل من سبتة بالمغرب إلى الإسكندرية في ليلة واحدة.

وكانت هذه الرباط من جملة مواضع التعليم بإفريقية ويسكنها مقيمون رسميون من العلماء والعباد، كما يتناوب الحراسة بها أهل القيروان وغيرهم، وكان العلماء كثيرًا ما يقصدونها وخاصة في شهر رمضان حيث يعتكفون ويعلّمون الناس. وقيل: إن الرباط كان له نفس دور المسجد في نشر الإسلام. وقد كانوا يسمون قصر زياد دار مالك لكثرة ما فيه من العلماء، وما يعقد فيه من المجالس العلمية، وقد اجتمع فيه أربعة عشر رجلًا من أصحاب سحنون، كما اجتمع في قصر ابن الجعد قبل تمامه ثمانية وأربعون حافظًا للقرآن.

وعندما آلت قيادة الحلف الصنهاجي إلى يحيى بن إبراهيم لكدالي سنة ٤٠٠ هـ أراد أن يؤطر حركة الصنهاجية بفتح البلاد أمام التعليم الديني لما لاحظه من جهل الصنهاجية واشتغالها بالتجارة وضعف دافع الروحي لديها وارتباط سياستها بعوامل مادية بحتة، خرج في رحلة إلى الحج وفي عودته مرّ بالقيروان وشكى إلى أبي عمران الفاسي ـ أحد أبرز الفقهاء ـ حال قومه وقال: «فينا أقوام يحرصون على تعلم القرآن، ويرغبون في الفقه والدين، لو وجدوا إلى ذلك سبيلًا، فوجهه إلى وكاك ابن زلو اللمطي الصنهاجي الذي كان يقيم رباطًا في سوس للجهاد وللتعليم، وعندما جاء الأمير، أي: يحيى بن إبراهيم لكدالي إلى وكاك استقبله باحترام وبعث معه عبدالله بن ياسين الجزولي الصنهاجي ليكون معه في هذه المهمة، وعندما رجع الأمير إلى بلاده بصحبة المعلم أقام المعلم وهو عبدالله بن ياسين رباطًا للتعليم وللجهاد سنة ٤٢٦ هـ وكان

هذا الرباط بمثابة أول محضرة عرف بالمفهوم الحالي»[(١)]، ولقد قامت المحاضر بدور كبير في الحفاظ على الشخصية الإسلامية في هذه الناحية من العالم الإسلامي.

ومن سمات المحضرة:

١ ـ أنها جامعة تقدم للطلبة موسوعات من المعارف في مختلف الفنون بدءًا بالقرآن الكريم والتجويد والقراءات والتفسير وعلوم القرآن والحديث وفنونه والعقيدة والفقه والسيرة والتاريخ والأخلاق واللغة العربية وغير ذلك.

٢ ـ أنها بدوية، وإن وجدت في المدن فظهورها في البوادي أبين، وهي فريدة من نوعها ولا يكاد يتصورها من لم يرها.

٣ ـ أنها تلقينية، والعلم يتلقى من أفواه الرجال لا في بطون الكتب فقط، قال شاعر:

فشافهن مجود القرآن ... لكي تزيل اللحن عن لسان
أخذ عن صاحبه جبريلا ... سيدنا محمد تنزيلا
لو صح مقرأ بلا تعلم ... لما تعلم إمام الأمم[(٢)]

٤ ـ أنها فردية في طرفي العملية التربوية الأستاذ والطالب، من الطرف الأول يدير حلقات الدراسة ومجالسها في العادة شخص واحد وهو الأستاذ، وإليه تنسب المحضرة عادة، ومن الطرف

---

(١) محمد بن سيدي محمد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط، ص٤٤.

(٢) السالياوي: محمد الرابع ابن يونس الكنوي: جامع المنافع على قراءة الامام نافع، تحقيق وتعليق تجاني زبير رابع، الناشر الخليفة الشيخ إسحاق محمد الرابع ٢٠١٠م، ص٧٨.

الثاني تؤدي المحضرة رسالتها وفق نظام التعليم الفردي، فالقاعدة هي أن يكون لكل طالب درس خاص به يختاره لنفسه حسب ظروفه الخاصة[١].

٥ ـ أنها طوعية، تقوم على أساس من التطوع والمبادرة الحرة ونشأ من ذلك علاقة حميمية بين الطالب والأستاذ وينظرون إليه بعين المحبة والتقدير والإجلال منقطع النظير.

٦ ـ أنها شعبية، تستقبل كل من يرد إليها من جميع مستويات، الطفل والشيخ والفقير والموسر وتبذل لكل طالب ما يريده من ضروب المعرفة حسب مستواه.

ومن أهداف المحاضر:

١ ـ تحفيظ القرآن الكريم وإتقانه وجعله دستورًا للحياة.

٢ ـ تعليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة ومنهاجًا وسلوكًا مع اختلاف مشاربها الفكرية في المفهوم الصحيح للدين الإسلامي.

٣ ـ تكوين دعاة قادرين على تحمل مسؤولية الدعوة إلى دين الله تعالى.

٤ ـ ترسيخ القيم الإسلامية وإرساء أسس الدين وتعهده بالرعاية.

٥ ـ المحافظة على التراث الإسلامي الموجود[٢].

ويقول الدكتور أحمد العمران: إذا كان قد قيل على لسان الأستاذ محمد إقبال رحمه الله: «إن التعليم ـ الغربي ـ هو الحامض الذي يذيب

---

(١) محمد بن سيدي محمد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ص٣٧.
(٢) النحوي: بلاد شنقيط، ص٤٣.

شخصية الكائن الحي، ثم يكون كما شاء، وأن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرًا من أي مادة كيماوية، فإن الكتاتيب القرآنية هي خط الدفاع الأول عن هذا الكائن الحي، والمحافظ الأول على فطرته». إنها الحقيقة التاريخية التي لا تُنكر، حقيقة دور الكتاب القرآني في الأمة الإسلامية، في كل مدنها وقراها[(١)].

* منهج التدريس:

المنهج المتبع في المدارس القرآنية في نيجيريا قريب من المنهج المتبع في المغرب العربي الذي ذكره ابن خلدون بقوله: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعًا عن العلم بالجملة. وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة. و كذا في الكبير إذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم»[(٢)]. والذين نزحوا من تلكم البلاد هم الذين نقلوا هذه الطريقة إلى غرب إفريقيا ومن ثم إلى نيجيريا.

---

(١) انظر: أحمد العمراني، الدكتور: الكتاتيب القرآنية بالمغرب بين الموجود والمقصود «سبل تطويرها مع الحفاظ على خصوصياتها» بحث غير منشور، ص ٧.

(٢) ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون ت ٨٠٨هـ: المقدمة، مكتبة دار الباز مكة المكرمة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ص٤٦٢.

وقد تطابق ثقافة المغرب العربي كثيرًا بثقافة نيجيريا، بل كلّ من تقصّى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا الغربية، لا يمكنه بأي حال أن يتجاهل الدور الحاسم للمغرب بهذا الشأن. فقد كانت المصنفات المغربية في جل العلوم السائدة رائجة ومعتمدة في مناهج التدريس وحلقات القرآن الكريم والعلوم بالمنطقة، فرواية ورش عن نافع هي الرواية السائدة، والمذهب المالكي كذلك، وكان أسماء العلماء والفقهاء المغاربة تتردد في مؤلفات السودان بطريقة تلقائية ومعتبرة، مما يؤكد مكانتها الجوهرية في سندهم العلمي[(١)].

وقد شاهدت شدة التشابه الذي كان بين المغرب وشمال نيجيريا حينما زرتها في المؤتمر العالمي (سيدي شيكر) الذي عقد في مراكش يوليو **٢٠٠٩**م، وقد تشابها في المباني القروية وفي اللباس وفي كثير من عادات وتقاليد الأمراء أمر عجيب، فنفس المجلس الذي يعقده محمد السادس ملك المملكة المغربية برمضان لاستماع التفسير يعقده أمير كانو الحاج آدوا بايرو في قصره برمضان، وقد توارثا ذلك من أجدادهم، بل وكأن مدن شمال نيجيريا القديمة قرى في المغرب لشدة التشابه الذي بينهما وكذلك الأسواق القديمة وحتى الشوارع والزقق، ولكن ليس هناك صلة بينهما الآن قطعها الاستعمار.

---

(١) انظر: الودغيري: عبد العلي، ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي، ص١٣.

ـ تنقسم الدراسات القرآنية في الكتاتيب تقريبًا إلى مراحل حسب عمر الطالب ومستوى التحصيل العلمي، وتسمى هذه المراحل بلغة المحلية بـ:

المرحلة الأولى: كوظوا (Kotso) يستقبل الطالب فيها من السنة الرابعة ويبدأ فيها الطفل بحفظ قصار السور يبدأ بالفاتحة ثم سورة الناس ثم الفلق ثم الإخلاص وهكذا إلى أن يصل إلى سورة الفيل على الأقل.

المرحلة الثانية: قولوا (Kolo) وفيها يبدأ بمعرفة أسماء الحروف فردى وبدون شكل ثم ينتقل إلى القراءة مع الشكل، ويسلكون الطريقة الكلية في تعلم الحروف وذلك بالبدء بالجملة بدلًا عن الحروف، فيدرسون الحروف من خلال الجملة، فمثلًا: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» تفرغ إلى حروفها بالترتيب ويسمون الحروف بأسماء أعجمية من عندهم ولها معان في لغاتهم المحلية، فمثلًا العين يسمى بلغة الهوسا (أمباكن ووفي)، أي: الفم المفتوخ شبهوا صورة العين (ع) بالفم المفتوح، ولماذا سمي بذلك؟ لأن التلميذ الذي يفتح فاه بدون إغلاق أصبح (ووفي) كلمة زجر، أي: أنت تافح، والسين تسمى (سين قيقسشيا)، أي: السين الجافة، والشين تسمى (شين مي روا) أي: شين ذات الثمار، وهكذا وهذه القراءة تسمى (ببقوا)، وأما قراءة الحروف مع الشكل يقال: الألف مع الحركة فوقها فهي (أَ)، والألف بالحركة تحتها فهي (إِ) والألف مع الرفعة فهي (أُ) وهكذا، وتسمى هذه القراءة بالشكل بـ(فرفروا). فيكتب له في اللوح بهذه الطريقة من سورة الفاتحة إلى الفيل ثم قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، (الفتح: الآية ٢٩)،

أو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً...﴾ إلخ، (آل عمران: الآية ١٥٤)، لاشتمال الآيتين على جميع حروف الهجائية، وبها يكتمل تعريف جميع الحروف.

المرحلة الثالثة: تيتيبري (Titibiri) فهي مرحلة تدعى بالهوسا (هجتو) وفيها يبدأ الطالب كتابة السورة على اللوح ولا يغسل اللوح إلا بعد أن يتقن الحفظ، وتستمر هذه المرحلة مع الحفظ حتى سورة النبأ، ثم يواصل الكتابة والقراءة أمام المعلم من اللوح، أي: بدون حفظ، حتى يتقن القرآن، وهذه العملية تكون غالبًا في الكتاتيب، وتسمى محليًّا (سوكر ذوقوا) وأكثرية أبناء المسلمين يقفون عند هذا الحد، أي: حفظ بعض الأجزاء لأدائه في الصلوات المفروضة والنوافل وإيجاد قراءة القرآن كاملًا، ثم يقرأ ما تيسر من أحكام الطهارة والصلاة وغيره وبعده يشتغل بأمور أخرى في الحياة. ثم يقدم وليمة ختم القرآن وهو احتفال كبير يجتمع فيه الأهالي والأقارب والأحبة، ويهتم الأهالي في نيجيريا بالاحتفال بالانتهاء من كل مرحلة، بل ويعتبرونه من المحرمات أن يكتمل الطالب أي مرحلة دون أن يولم أو يقدم صدقة، ويرون أن عدم القيام بشيء من هذا سيجر المصائب للفاعل ولن يفيده العلم الذي يحصله[(١)].

المرحلة الرابعة: غردي (Gardi) كلمة عربية الأصل من غرَّد يغرد

---

(١) انظر: الطاهر محمد داود البروفيسور: المدارس القرآنية في نيجيريا نشأتها ونظامها وآفاق المستقبل: أوراق المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (١٤) قرنًا على نزوله. عام ٢٠١١م، السودان الخرطوم: الكتاب الخامس، ص٤٣ ـ ٥٤.

تغريدًا، بمعنى: أنهم يرددون القراءة كدوي النحل[١]، وهي مرحلة الحفظ وتكون بحفظ المصحف كاملًا ويكون البدء من سورة البقرة إلى سورة الناس أو العكس، ولا يتعلمون بقية العلوم الإسلامية إلا قليلًا من الأحكام التي تصح به الصلاة، وفي هذه المرحلة يبدأ الطالب في التدريب على الأستاذية، وذلك في مساعدته للمعلم في المراقبة وتعليم الطلاب الذين هم دونه في العمر والمستوى، وكذلك في كتابة التعاويذ والآيات القرآنية للعلاج من مختلف الأمراض التي يأتي بها الأهالي إلى الشيخ.

المرحلة الخامسة: أَلَرمّا (Alaramma) وهي أيضًا عربية الأصل، بمعنى رحم الله المعلم، ويسمى الطالب بعد إتمامه للحفظ بـ(ألرما) وبعدها يمكن للطالب أن يفتح مدرسته الخاصة، وكان العادة قديمًا أنه من وصل إلى هذه المرحلة يذهب إلى أي مكان في الصحراء أو القرية ويفتح مدرسة قرآنية، فيقابله الأهالي بكل إجلال وتكريم ويتصدق إليه بأحسن امرأة عندهم ويعطى بيتًا ليسكن فيه ويؤتى له بصغار القرية والقرى المجاورة لتعليمهم كتاب الله تعالى، ويقدمون له الأهالي الزكاة والصدقات فيجلس ولا يشتغل بشيء إلا التعليم حتى تتطور المكتبة إلى المحضرة، وقد يختار ألرما الصحراء فيضرب خيمة أو بيني خوخًا ثم يؤتى له بالتلاميذ من كل فج إلى أن يصبح المكان قرية، فكثير من القرى والمدن في شمال نيجيريا أصل نشأتها محضرة قرآنية.

---

(١) انظر: الفيروزبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ القاموس المحيط، دار الفكر بيروت ١٩٩٩م، ص٢٧٥.

المرحلة السادسة: ماهرو (Mahiru) كلمة عربية الأصل الماهر، أي الحاذق. وهي مرحلة تحصيل بعض العلوم الشرعية واللغوية والحسابية، وتكون باختيار كتاب معين ومدارسته مع معلم خاص في حلقته أو دهليزه ويتدرج الطالب فيها من كتاب إلى آخر، وقد يبدأ الطالب مثلًا بكتاب القواعدي ثم الأخضري ثم العشماوي ثم رسالة أبي زيد القيرواني إلى الموطأ والمدونة انتهاء بكتاب التمهيد لابن عبد البر، ثم يقرأ مع هذا كتب اللغة، بدءًا بالآجرومية والألفية والمعلقات العشر في الشعر الجاهلي وفي المدائح البردة والعشرينية وغيرها، وفي التفسير الجلالين ثم القرطبي، ثم بعض كتب تهذيب الأخلاق في التصوف، وفي الحديث الأربعين النووية إلى رياض الصالحين وهكذا.

المرحلة السابعة: غنغرن (Gangaran) معناه: أي الذي تفوق على الأقران وأصبح أعجوبة في الحفظ. قد يذهب ألرما إلى الخلوة القرآنية بدل إنشاء مدرسة فيذهب إلى (بدوي) مكان خال بعيد عن الناس في الصحراء ويبني الخوص وهو بيت القصب (قسقادي) ويجلس وحده طلبًا لإتقان حفظ القرآن فقط، وليكون القرآن في لحمه ودمه، يعني: بلوغ الغاية في إتقان حفظ القرآن الكريم، أي: يجلس لا يرى أحداً ولا يتكلم مع أحد إلا ختمات القرآن الكريم حتى لا يشك فيه حرفًا أو حركة. وتكون المدة ستة أشهر إلى السنة وإلى السنتين وقد تقل عن هذا أو تكثر.

المرحلة الثامنة: غوني (Gwani) الغوني أو القوني مصطلح إفريقي، وتمثل الدكتوراه، وهو أعظم درجة علمية تمنح في إجادة القرآن الكريم عرفها التاريخ الإفريقي، بشروطها عند أصحابها. وقد أنجبته مملكة

كانم برنو الإسلامية، وظل هو الدرجة العلمية الرفيعة والمقننة التي يصبو إليها كل طلاب الخلاوي القرآنية، وهذه الدرجة أو المصطلح قد أحيط بسياج منيع يؤكد الدقة والإتقان في معرفة القرآن الكريم لمن وسم بهذا اللقب ليجد بعدها المكانة والاحترام، ولا يكرم إلا بعد أن يجتاز كل المراحل المعتبرة عند أصحاب الشأن.

ويكون التكريم في احتفال بهيج يحضره أعيان الدولة ويعمم المعني بعمامة وسط هذا الجمع الحاشد إيذانًا بإعطاء هذه الدرجة ويخطب أكبر القواني سنًّا في المنطقة، ويعلن للحاضرين بأن المعنِي استحق هذا اللقب بجدارة ويوصيه بتقوى الله ونشر القرآن الكريم ويحيط الجميع بأن المعنِي لا يدعى بعد اليوم إلا بالقوني ويحرم استدعاه باسمه المجرد.

وأول من لقب بهذا المصطلح هو الغوني موسى بن صالح الجرمي الشهير بالغوني موسى الدنقولي الذي يذكر الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، في كتابه الاستذكار بأنه درس في مصر ثم نزح إلى تلك البلاد، ويعود إلى ما بعد ١٧٠٠م.

ويقال: إن أصل هذه الكلمة «غني» لذلك تكتب بالغين ويستشهد لذلك بالحديث الشريف: «أن القرآن غني لا فقر معه ولا غنى دونه»[(١)]، «وليس منا من لم يتغن بالقرآن»[(٢)]، ومعنى يتغن: يستغن قاله

(١) انظر: أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، الناشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ تحقيق: حسين سليم أسد ٥/ ١٥٩ قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف.

(٢) البخاري: باب من لم يتغن بالقرآن.

ابن القاصح صاحب سراج القارئ شرح الشاطبية، وكان يكتبها بالغين، وهذا أقرب للمنطق لاستناده لهذا الحديث الشريف[١].

المرحلة التاسعة: المشيخة القرآنية، المقرئ والقارئ، المقرئ: بضم الميم وكسر الراء، هو من علم القراءة أداء ورواها مشافهة وأجيز له أن يعلمها غيره. والقارئ: هو الذي جمع القرآن حفظًا عن ظهر قلب. وهو مبتدئ ومتوسط ومنتهي. فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط من جمع أربع روايات إلى خمس، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها[٢].

العقلية السائدة في الكتاتيب القرآنية في نيجيريا:

ومن بعض العقليات السائدة التي كانت مشهورة ومننشرة بالرواية الشفهية في الكتاتيب عندنا ما يأتي:

- اعتقاد وجود أسرار للحفظ والإتقان عند المشايخ في مدة وجيزة كستة أشهر مثلًا ولا يعطى للتلميذ هذه الأسرار إلا بعد ما يخدم عند الشيخ مدة طويلة.
- المكان المجروح بسبب الضرب في الكتاتيب لا يحرقه الله بالنار يوم القيامة.

---

(١) انظر: القوني/ إدريس أحمد عثمان، ورقة قدمت في الملتقى العلمي الذي نظمه مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالخرطوم احتفاء بذكرى مرور ألف وأربعمائة عام هجري على دخول الإسلام في إفريقيا.

(٢) الضباع: علي بن محمد: الإضاءة في أصول القراءة، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد البابي القاهرة، ص٥.

ـ أن قراءة القرآن يوم القيامة تكون برواية ورش عن نافع.

ـ إذا قدر الله للتلميذ الموت في الكتاتيب فهو من أهل الجنة.

ـ بركة الطعام في آخره، ولذا التسول لجمع بقايا الناس من الطعام مما يبارك للتلميذ ويزداد فهمه وبركاته.

وقد بنيت عقلية الشعب المسلم النيجيري من الكتاتيب حيث إنه من النادر أن ينشأ الفرد دون المرور بمرحلة الكتاتيب.

المبحث الثالث

التحديات وسبل النهوض

فمن المشاكل التي تواجه الكتاتيب والمحاضر وحلقات تحفيظ القرآن الكريم ما يأتي:

١ ـ عدم وجود إحصاء دقيق للكتاتيب والمحاضر والحلقات في نيجيريا ولا أحد يستطيع أن يذكر أعدادها على وجه الدقة، لأنه عمل تطوعي، يفتحه رجل مسلم متحمس لدينه ولكتاب ربه العظيم متى شاء وأين شاء وكيف شاء، وفي أحياء القديمة لمدن شمال نيجيريا عمومًا قد لا تجد أزقة أو شارعًا أو طريقًا إلا وفيه أكثر من مكتبة قرآنية، بل وفي بعض المناطق قد لا تجد ثلاثة بيوت إلا ومن بينها حافظ لكتاب الله تعالى، ومع هذا فإن المؤسسة النظامية للتعليم لم تحافظ على التعليم القرآني واستمراريته، فلذا عكف الناس على الكتاتيب والمحاضر وتركوا المدارس الحكومية النظامية. وأوصل بالناس إلى تهجير أبنائهم إلى أماكن بعيدة فارًّا من مدراس الاستعمار، فيفتقر الطالب الصغير إلى الإعاشة وأصبحت حياته عناء وفاقة.

وفي إحصاء لولاية كنو عام ألفين واثنين ٢٠٠٢م أن المدارس الإسلامية النظامية الطوعية التي يقومون بها الأهالي من المحسنين

بلغت أكثر من اثنتي عشرة ألف مدرسة، في حين أن المدرس الحكومية النظامية التي تنفق عليها الحكومة وتشرف عليها لم تتجاوز ألفين وخمسمائة مدرسة. وما أدراك عن أعداد الكتاتيب والمحاضر والحلقات.

٢ ـ عدم اعتراف الحكومة بهذا النوع من المدارس، وجعل كل اهتمامها بالمدارس النظامية التي جاء بها المستعمر، وهو من أهم أسباب التسول لطلاب الكتاتيب.

٣ ـ ضعف إمكانات الكتاتيب المادية «المتمثلة في المباني والأدوات والمرتبات»؛ لأن جُل المحاضر تقام في البوادي بعيدًا عن عيون الحكومة التي تجبر الآباء على أخذ أبنائهم إلى المدارس النظامية الغربية وتغري الطلاب بمبالغ مالية وإن امتنع الأب ينتهي به الأمر إلى السجن أحيانًا.

٤ ـ افتقارها إلى المنهج التّربوي الأصيل والمعلم المدرب: لأنه عمل فردي وتطوعي والمعلم هو كل شيء وفي أكثر الأحايين تعتمد الكتاتيب على ثروة المعلم ومنهجه في الحياة والدرس ويخدم التلميذ في مزرعة المعلم، ويتضامن السكان في مساعدة المعلم بالصدقات والزكاة حسب الإمكان وما يقدمه أولياء أمور التلميذ الميسورون.

٦ ـ افتقارها إلى الوسائل التّعليمية الحديثة. زرت منطقة في أحد أقاليم المسلمين فوجد الكتاتيب مازالت تحطب قبل أن تشعل النيران لمذاكرة الألواح بالليل، والمدارس التبشيرية بمباني شيقة ونظام عصري حديث في التعليم أمر عجيب.

٨ ـ عدم مساواة خريجيها برصفائهم خريجي المدارس عند التّوظيف.

٩ ـ اضطرارهم للعمل في أعمال هامشية، والتوسل والشعوذة. فكم من طالب يتخرج من الكتاب ثم يجلس في دهليزه وينتظر الصدقات، ثم يشتغل ببعض الطلاسم والحساب والرمل إلى الشعوذة ليسدوا رمقه.

إن الطالب في الدراسة النظامية يسأل عن رغبته ماذا يريد أن يكون ضابطًا أو طبيبًا أو مهندسًا أو وزيرًا.. الخ، وأما الطالب في الكتاب يتوجه إليها لا مطلب له سوى العلم ورضى الله تبارك وتعالى ومأواه الجنة، وهو مقتنع بأن طريقه غير مفروش بالورود، ومستعد لتحمل مرارة مشواره التعليمي[(١)]. وهذا هو الفرق الجوهري والحافظ المعنوي الذي تتمتع به المدارس القرآنية بخلاف المدارس النظامية التي كانت الغاية فيها متاع الدنيا، فإذا فقد خريجوها التوظيف يبقى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

١٠ ـ أكثر المحاولات التي تقدمها الحكومات أو الأفراد في نيجيريا للنهوض بالمدارس القرآنية (الكتاتيب) باءت بالفشل لأمور عدة منها: ـ

أ ـ إن الضربات القاسية التي واجهتها من قبل المستعمر وحكوماته

(١) انظر: الطيب بن عمر الدكتور، مدير مكتب رابطة العالم الاسلامي في موريتانا: الكتاتيب وحلقات القرآن ودورها التعليمي: بحوث ندوة التعليم وتطوره في غرب إفريقيا التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية في مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز الثقافي ـ نيامي ـ النيجر ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص٨٧.

جعلها تخاف وتبتعد عن كل ما هو جديد عندها، وتعتبر ذلك من كيد اليهود، وسمعت أحد مشايخ الكتاتيب يحذر الناس حتى من التجويد والإذاعة ويقول: إنه من دسائس اليهود علينا. وإن كان رفضها لكل تدخل خارجي في شأنها من أهم عوامل بقائها.

ب ـ أن الحكومات لا تنظر إلى هذه المدارس إلا عند الكلام عن المتسولين في الشوارع، فتنظر إليها كأنها مظاهرات تبهتها عن كل ما تقوله في وسائل الإعلام من أنها تحسّن وضع التعليم في البلاد. فأول ما يواجه الزائر من الخارج عند وقوفه في الإشارة هو جمع غفير من المتسولين الصغار جلهم طلاب الكتاتيب القرآنية.

ج ـ عندما تولي الحكومة من يقوم بتشفي المسألة لا تسند الأمر إلى أهله الذي له معرفة بجذور المشكلة، فتولي من كان له قرابة سياسية معها فقط.

د ـ ثم إن هذه الحكومات تتغير بعد كل أربع سنوات على الأقل فإذا ما ذهبت يذهب معها جل الأعمال التي بدأتها وتأتي حكومة أخرى بتوجهات مغايرة ويستبدل المسؤولون، فيتوقف الأعمال التي بدأتها الحكومة السابقة.

هـ ـ إن الحكومة تسمح لكل من فتح مدرسة قرآنية أو غيرها بأن يسجل في وزارة التعليم ويسمى هذا النوع من المدارس التطوعية (Voluntary) وهي مشتركة بين الأهالي والحكومة، وبعد ذلك تقدم الحكومة المنهج المختار وتقدم بعض المساعدات من المدرسين والكتب المدرسية وغيرها، ولكن الإشكال هنا أن تأتي بعض القرارات

من الدولة مغايرة لأهداف الكتاتيب أو المدارس الإسلامية، فمثلًا قد يأتي قرار بأن تكون تدريس المواد الإسلامية، لا بد أن يكون باللغة الإنجليزية بدل اللغة العربية كما حصل في الماضي القريب، وحصص اللغة الإنجليزية تساوي حصص القرآنية في مدرسة قرآنية أو تفرض مادة غربية بحتة في مثل هذه المدارس.

و ـ إسناد أمور الدين إلى سلطان الأمراء ولا تتدخل الحكومات فيه كثيرًا إلا عند حدوث بعض المشاكل.

ويلاحظ أن سلطان الأمراء قبل الاستعمار كان قويًّا وفعالًا، فالإمارة تعتبر رمزًا للإسلام وشعارًا للدين كما يشعر كل المواطنين بوجوب الخضوع له والانقياد إلى أوامره، ولهذا وحتى بعد وجود الاستعمار استمر الناس بالانقياد إليهم، وأعطي لهم كل فرد وجوب الطاعة. فالأمراء لهم أهمية كبيرة في نفوس الشعب، ولا زالت منزلتهم وسلطانهم كذلك، وقد جعل لهم الدستور ١٣٪ من مصادر الموارد لكل مناطق محلية التي يمتد سلطانهم إليها، وكذلك منح لهم الحق في إدارة الشؤون الدينية، كالمساجد والمدارس، وكل ما له صلة بالدين. وإن كان الدستور اعترف بهم إلا أنه لا يعطيهم نفوذ وسلطان يتحكمون من خلالها بمصادر الدولة، وما زالت هذه الإمارات على النهج القديم في تيسير الأمور، وهذا مما أبقى المساجد والمدراس القرآنية والإسلامية على النهج القديم بدون تطور ونهوض، وإن كان بقاء أمور الدين بيد الأمراء يحفظه من تدخل الحكومات المتعاقبة في أموره وهذا له إيجابيته.

وقال الدكتور طيب بن عمر: «لا شك بأن الظروف الحالية خانقة

للكتاتيب القرآنية مما جعل بعض الدراسات تصفها بأنها في مرحلة الاحتضار بالنظر إلى حالة الجمود والركود التي تغشيها، بينما وصفتها دراسات أخرى بأنها في حالة انتعاش باعتبار قابليتها للتطور، إذا توفرت الوسائل لذلك»[(١)].

النقطة الثانية: سبل النهوض بالكتاتيب:

ومن النادر أن ينشأ الفرد المسلم في نيجيريا دون المرور بمرحلة الكتاتيب، فالنهوض بالكتاتيب نهوض للشعب وتطور في الدولة برمتها. ومن السبل في ذلك ما يأتي:

١ ـ إنشاء هيئة وطنية لتشرف على كل ما هو قرآني في الدولة وأن تقوم حكومات الولايات بإجراء إحصاء دقيق لجميع الكتاتيب القرآنية والمحاضر والحلقات لتقوم بعملية تعليمية للقائمين على هذه المدارس.

٢ ـ إنشاء منظمة على غرار جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية فإن تجربتها ناجحة بحمد الله.

٣ ـ المحضرة النموذجية[(٢)]: وتتركز على المبادئ التالية:

١ ـ احتضان مجموعة من الأطفال المتفرغين لحفظ القرآن الكريم يقيمون بشكل دائم في المركز.

٢ ـ توفير الظروف المعيشية والصحية لهم ووسائل الإقامة المناسبة.

---

(١) انظر: الطيب: الكتاتيب وحلقات القرآن الكريم ودورها التعليمي، ص٩٣.
(٢) راجع: المرجع السابق، ص٩٥.

٣ ـ تنظيم الأوقات الدراسية بطريقة تضمن الحفظ والمراجعة اليومية.

٤ ـ تخصيص حصص لتعليم العربية واللغة الأجنبية الرسمية في البلاد تهيئ الطالب لمتابعة الدراسة مستقبلًا في التعليم النظامي الرسمي.

وقد نجحت هذه التجربة وتحققت في ظلها مزايا تربوية واجتماعية مهمة منها :

أ ـ مكافحة ظاهرة التسول في صفوف التلاميذ.

ب ـ مكافحة الشعور بالدونية لدى تلاميذ القرآنية.

ج ـ فتحت آفاقًا واعدة لتلاميذ القرآن الكريم.

د ـ بعدما كان الحفظ المبكر من الكرامات أصبح عاديًّا وفي متناول الطلاب الأذكياء ذوي الهمم العالية.

هـ ـ توظيف الوسائل الحديثة في اختزال الزمن وتعويض الوسائل التقليدية، فلم يعد اللوح الخشبي والإداوة وقلمها من الملتزمات في الدرس اليومي القرآني.

و ـ أصبح روح المنافسة فيما بين الدارسين على شكل حوافز تشجيعية، وعوامل تأديبية معنوية مؤثرة، بدلًا من العقاب البدني المنفر الذي كان سائدًا في هذه الكتاتيب في العهد الماضي.

ز ـ إجراء المسابقات القرآنية المدرسية والإقليمية والدولية.

٤ ـ إبقاء الكتاتيب على حالها والاهتمام بأمر المعلمين والمتعلمين وتقديم الدعم والمساعدات المعنوية والمادية، وإدخال

الترتيبات التي تحافظهم عن التسول. منها على سبيل المثال: فرض وجبة على الجيران لكل فرد أو لكل عائلة، تؤخذ إلى طلاب الكتاتيب المتسولين.

النقطة الثالثة: آفاق المستقبل:

تشهد الكتاتيب القرآنية جهودًا ومحاولات متواضعة في الآونة الأخرة في نيجيريا منها:

- إن ولايات شمال نيجيريا التي أعلنت تطبيق الشريعة الإسلامية أسست مكتبًا استشاريًّا خاصًّا لمسألة الكتاتيب القرآنية، وهي إحدى عشرة ولاية من بين الست وثلاثين ولاية في نيجيريا، ومما خرج به اللجان من التوصيات بهذا الصدد إنشاء مدرسة قرآنية نموذجية، وقد بدأ تطبيق هذا حتى على مستوى الفدرالي برئاسة البروفيسور شيخ أحمد غلادنثي (سفير نيجيريا بالمملكة العربية السعودية سابقًا).

- أنشئ أول قسم لعلوم القرآن الكريم بكلية أمين كنو لدراسات الشريعة والقانون بكنو نيجيريا عام ١٩٩٩م، ويهدف القسم إلى جمع خريجي الكتاتيب ومنحهم الشهادة الدبلوم العالي في القراءات واللغة العربية والتربية وبقية المواد المنهجية، ومدة الدراسة سنتين إلى ثلاث سنوات، وبعد التخرج يتيح للطالب الفرصة لمواصلة الدراسة في جامعات النيجيرية وغيرها، أو يلتحق بوظائف حكومية أو غيرها لأمثاله حاملي أي شهادة دبلوم، وقد نجحت هذه الفكرة وتخرج آلاف الحفظة لكتاب الله ويشتغلون

الآن في مختلف مرافق الحياة، وقد اقتفى هذا الأثر قرابة تسع ولايات في نيجيريا، ويترأس القسم حاليًّا كاتب هذا البحث.

- أنشأت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم للمملكة العربية السعودية مدرسة قرآنية نموذجية في ولاية سكوتو، كما افتتحت دولة قطر مدرسة النور لتعليم القرآن الكريم في جمهورية نيجيريا بمنطقة صوميل بمدينة إسيين عام ٢٠١٤م، كما أن هناك جهودًا عديدة هنا وهناك من المؤسسات الخيرية من الدول العربية والإسلامية بهذا الصدد.

- نقل الشيخ إسحاق رابع في إحدى زياراته إلى المملكة المغربية فكرة التسميع الجماعي بعد صلاة المغرب إلى نيجيريا، ولكن أعدلها إلى التسميع الفردي، وهو أن يجتمع جمع من الحفظة بعد صلاة المغرب ويتلون القرآن الكريم واحدًا تلو الآخر غيبًا عن ظهر القلب، وقال: إن التسميع الجماعي تلاوة الضفادع لا يدرى من يتقن ومن لا يتقن، وهذه الفكرة منتشرة في نيجيريا.

- كما أسس حديثًا الشيخ إبراهيم أبوبكر رمضان رحمه الله حلقات تحفيظ القرآن الكريم مع نبذة من التفسير والقراءات في كثير من المساجد بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، وقد انتشرت هذه الفكرة انتشارًا واسعًا حيث أكمل الصغير والكبار حفظ القرآن الكريم مع التفسير في مثل هذه الحلقات. كما أنشأ بعض الشباب المتحمسين للقرآن الكريم حلقات تحفيظ القرآن الكريم للصغار بعد صلاة الصبح مباشرة، أي: قبل الذهاب إلى المدارس اللنظامية، والتجربة تؤتي أكلها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأرجو بهذه الجولة المختصرة أني قد اكتشفت عن أطراف هذا الموضوع وأديت الفائدة العلمية المرجوة، ولا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه كاملًا، فالكمال لله وحده، ومن أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات ما يأتي:

النتائج:

❊ أن دخول الإسلام في نيجيريا قديم، أي: منذ فتوحات إفريقيا على يد عقبة بن نافع الفهري سنة ست وأربعين للهجرة ٤٦هـ، ولم يظهر كدين الدولة إلا بعد إسلام بعض الملوك في المنطقة، لأن أي دين جديد يدخل بلد ما، يبقى مع الشعب مدة قبل أن يصل إلى الطبقة الحاكمة.

❊ من أهم أسباب انتشار الإسلام في إفريقيا: مساواته بين الناس وبغضه للتفرقة العنصرية. وأن الإسلام في نيجيريا لم ينتشر بالسيف

وإنما انتشر بواسطة أناس كانوا مثلًا أعلى وقدوة حسنة ولذلك أصبح قلب الجماهير عالقة بكل ما هو إسلامي.

❊ لم يعرف أي تعليم من قبل في المنطقة إلا تعليم القرآن الكريم فكان النظام الذي يسود إفريقيا قبل ذلك نظام استقراطي بحت.

❊ إن الحركة الإصلاحية الفورية هي التي أعادت للمسلمين في تلك المنطقة روح الإخاء، وربطتهم تحت راية واحدة، وأيقظتهم من سباتهم بعد فترة الركون.

❊ نظام ومنهج الكتاتيب والمحاضر فريد في نوعه، وهو الذي ملأ الفراغ التعليمي الديني والعربي في غرب إفريقيا وخاصة عندما دخل المستعمر الغربي البلاد، وحارب كل ما هو عربي إسلامي، ففي شمال نيجيريا مثلًا من النادر أن ينشأ الفرد دون المرور بمرحلة الكتاتيب القرآنية.

❊ عملت هذه الكتاتيب على ترسيخ قراءة القرآن الكريم وحفظه وهذا واضح من خلال النتائج التي يحققها الطلاب النيجيريون في المحافل المسابقات القرآنية الدولية في العالم.

بناءً على هذه النتائج يوصي الباحث بالآتي:

ـ أدعو الباحثين إلى كتابة تاريخ لأهم الكتاتيب في نيجيريا، وتراجم أهم المشايخ الذين بذلوا جهودًا في نشر القرآن الكريم وعلومه حتى يكتب صفحة جديدة من تاريخ هذه المنطقة غير المزورة المداولة التي أنشأها المستعمر وقررها في مناهج التعليم.

ـ بذل المزيد من الجهود للنهوض بالمدارس القرآنية، كما ذكرت

طرفًا من السبل في هذا البحث، وبنهوضها ينهض الشعب والدولة برمتها.

ـ إنشاء ملتقى للحفاظ في نيجيريا وفي العالم لمتابعة كل ما هو قرآني.

وما كان من صواب فبتوفيق من الله تبارك وتعالى، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، فأستغفر الله العلي العظيم وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وأله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١ ـ ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب: طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢ ـ ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون ت ٨٠٨هـ: المقدمة: مكتبة دار الباز مكة المكرمة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٣ ـ ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب: دار صادر ـ بيروت الطبعة الأولى.

٤ ـ أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ تحقيق: حسين سليم أسد.

٥ ـ أحمد العمراني، الدكتور: الكتاتيب القرآنية بالمغرب بين الموجود والمقصود «سبل تطويرها مع الحفاظ على خصوصياتها» بحث غير منشور.

٦ ـ الأزدي: الحافظ أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يونس: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني الناشر مطبعة المدني سنة النشر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧ ـ الإلوري: آدم عبدالله: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاتي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.

٨ ـ البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة بيروت سنة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ الطبعة الثالثة. المحقق د. مصطفى ديب البغا.

٩ ـ توفيق أبوبكر حسين: جمهورية النيجيرية، بحث غير منشور.

١٠ ـ تيجاني زبير رابع: الدكتور: مساهمة علماء نيجيريا في التفسير. بحث مقدم لنيل شهادة العلمية (الدكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان عام ٢٠١٢م.

١١ ـ السایاوي: محمد الرابع ابن يونس الكنوي: جامع المنافع على قراءة الإمام نافع، تحقيق وتعليق تجاني زبير رابع، الناشر الخليفة الشيخ إسحاق محمد الرابع ٢٠١٠م.

١٢ ـ سكيرج سليمان أرزي كنو: الكتاتيب في كنو بين الماضي والحاضر، بحث لنيل الشهادة الجامعية العالية «الليسانس» قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالنيجر، ١٩٩٦م. قسم المخطوطات بمكتبة كلية أمين كنو للشريعة والقانون كنو نيجيريا.

١٣ ـ شيخ عثمان كبر، الدكتور: الشعر الصوفي في نيجيريا، دراسة موضوعية تحليلية لنماذج مختارة من إنتاج العلماء القادرين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. النهار للطبع والنشر والتوزيع.

١٤ ـ الضباع: علي بن محمد: الإضاءة في أصول القراءة، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد البابي القاهرة.

١٥ ـ الطاهر محمد داود البروفيسور: المدارس القرآنية في نيجيريا نشأتها

ونظامها وآفاق المستقبل: أوراق المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (١٤) قرنًا على نزوله. عام ٢٠١١م السودان الخرطوم.

١٦ ـ طرهوني: محمد رزق عبد الناصر: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، بحث مقدم لنيل شهادة العالمية (الدكتوراه) جامعة الأزهر كلية أصول الدين ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

١٧ ـ الطيب بن عمر الدكتور، مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في موريتانا: الكتاتيب وحلقات القرآن ودورها التعليمي: بحوث ندوة التعليم وتطوره في غرب إفريقيا التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية في مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز الثقافي ـ نيامي ـ النيجر ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.

١٨ ـ علي أبوبكر، الدكتور: الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

١٩ ـ عمر حمزة إبراهيم / نيجيريا / ولاية كنو الإسلامية: جامعة أمدرمان الإسلامية، بحث غير مطبوع.

٢٠ ـ غلادنثي: شيخ أحمد سعيد البروفيسور: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤م إلى سنة ١٩٦٦م المكتبة الأفريقية الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٢١ ـ غوني الأمين بن غوني ممدوا إنشاروا نيجر: الفية الدبثوية المصطفوية المسماة: القرى لأهل البادية والقرى بتاريخ الحبر البحر المتبحر الشيخ العلامة الماهر غوني دبثيا، نظم في ألف بيت مخطوط أهداني إياه الناظم في سفري معه إلى الحج عام ٢٠٠٧م.

٢٢ ـ الفلاتي: الأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد، الفلاته في أفريقيا

ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان دار الكتب الحديث الكويت الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٢٣ ـ الفيروزبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: ـ القاموس المحيط، دار الفكر بيروت ١٩٩٩م.

٢٤ ـ القوني/ إدريس أحمد عثمان، ورقة قدمت في الملتقى العلمي الذي نظمه مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالخرطوم احتفاء بذكرى مرور ألف وأربعمائة عام هجري على دخول الإسلام في إفريقيا.

٢٥ ـ المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ جمهورية مصر العربية الطبعة العشرون ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٢٦ ـ محمد أمين: تاريخ وخصوصيات نيجيريا. بحث غير منشور.

٢٧ ـ محمد بللو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور طبع عام ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٤م.

٢٨ ـ محمد بن سيدي محمد مولاي: التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط، دار يوسف بن تاشفين مكتبة إمام مالك، الطبعة الأولى ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨م.

٢٩ ـ محمد موسى البر/ جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية: الإسلام والمسلمون في إفريقيا بحث غير مطبوع.

٣٠ ـ محمد ناصر آدم: الأهداف الأساسية لمؤسسة المرحوم الشيخ محمد الرابع للتعاون الإسلامي العالمي.

٣١ ـ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

٣٢ ـ المزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي: تهذيب

الكمال، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٣٣ ـ الموسوعة العربية العالمية: عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International. شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

٣٤ ـ النحوي: الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس ١٩٨٧م.

٣٥ ـ الهيثمي علي بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٠٧هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي القاهرة وبيروت ١٤٠٧هـ.

٣٦ ـ الودغيري: عبد العلي: الدكتور: ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي، بحث غير مطبوع.